مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 83 – يوليو 2026

Volume 23 – issue 83 – July 2026

Pages 15 - 36 الصفحات 15 - 36

الأصناف الذين ورد النهي الصريح عن طاعتهم في القرآن الكريم

دراسة موضوعيّة

Those who are expressly forbidden to be obeyed in the Holy Qur'an

An objective study

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8301

حمزة عبد الله سعادة شواهنة

Hamza Abdullah Sa'adeh Shawahneh

دكتوراه، مدرّس – وزارة التربية والتعليم العالي / فلسطين

Ph.D, Teacher - Ministry of Education and Higher Education / Palestine

Email: hamzahamza19855@gmail.com

Date of Receipt - 2026/02/14 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/03/06 – تاريخ القبول

حمزة عبد الله سعادة شواهنة
دكتوراه، مدرّس – وزارة التربية والتعليم العالي / فلسطين

Hamza Abdullah Sa'adeh Shawahneh
Ph.D, Teacher - Ministry of Education and Higher Education / Palestine
hamzahamza19855@gmail.com

الأصناف الذين ورد النهي الصريح عن طاعتهم في القرآن الكريم دراسة موضوعيّة

Those who are expressly forbidden to be obeyed in the Holy Qur'an An objective study

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8301

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٢/١٤ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٣/٦

ملخّص

ناقشت هذه الدراسة مسألة المنهج القرآنيّ في التحذير مِن طاعة الأعداء، كما تناولت الأصناف الذين نهى الله ﷻ صراحةً عن طاعتهم في كتابه الكريم، مع التطرق للقيم المستفادة منها، وتكتسب هذه الدراسة أهميّتها مِن كون طاعة الكفار ونحوهم وبالاً على الأفراد والدول على حدّ سواء، ولا سيّما أنّ كيد الكفار للمسلمين في هذه الأزمنة قد تضاعَف، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المنهج القرآنيّ في التحذير مِن طاعة الأعداء؛ مِن خلال استعراض الأصناف الذين نصّ الله ﷻ على النهي عن طاعتهم في القرآن الكريم، وتكمن مشكلة البحث في تحديد الأصناف الذين حذَّر القرآن الكريم صراحةً مِن الانصياع إليهم، واعتمد البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي في دراسة هذا الموضوع؛ وذلك باستقراء الأصناف الذين حذَّر القرآن الكريم بشكل مباشر عن الانقياد إليهم في التنزيل العزيز، ثُمّ التعقيب على الآيات التي تضمّنت تلك الأصناف بإيجاز، ثُمّ استكشاف أبرز القيم المستنبَطة منها، وقد توصّل البحث إلى خطورة اتباع الكفار أو موالاتهم بشكل كامل، كما توصّلت الدراسة إلى أنّ المقصود الأكبر مِن نهي القرآن الكريم للنبيّ صراحةً عن طاعة تلك الأصناف، بيانُ أنّ الناس محتاجون إلى مواصلة

التنبيــه والإرشاد، ويوصي البحث بتركيز الأبحــاث والدراسات والمؤتمرات حول الطاعة وأنواعها في السنّة النبويّة، والثمرات التي تنتج عن ذلك.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير الموضوعي، النهي، الكفار، الطاعة.

Abstract

This study discussed the issue of the Qur'anic approach to warning against obeying enemies, I also discussed the types of people whom the Holy Quran explicitly forbids obeying in its holy book, With reference to the values learned from it, This study is important because obedience to disbelievers and the like is a burden on both individuals and states, Especially since the disbelievers' enmity toward Muslims has intensified in these times, This study aims to highlight the Qur'anic approach in warning against obeying enemies, By reviewing the types of people whom Allah, the Almighty, has forbidden us to obey in the Holy Quran, The problem with this research lies in identifying the categories of people, whom the Holy Quran explicitly mentions as being obedient in its sacred book, The research adopted an inductive, analytical, and deductive approach in studying this topic, This is by extrapolating from the categories that the Holy Quran directly warned against following in the Holy Book, Then comment briefly on the verses that mention these categories, Then explore the most prominent values derived from them, The research concluded that it is dangerous to follow or fully support the disbelievers,The study also concluded that the main purpose of the Holy Quran's explicit prohibition on the Prophet from obeying those types of people, Statement that people need to continue to be alerted and guided, The research recommends focusing research, studies, and conferences on obedience and its types in the Prophetic Sunnah, And the fruits that result from that

Keywords: Quran, Objective interpretation, Prohibition, The disbelievers, Obedience

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالَمين، والصلاة والسلام على خاتَم النبيّين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقــد أخبرنــا الله ﷻ فــي كتابه العزيز أنه جعــل الحقّ والباطل في صــراع مستمرّ إلى يوم القيامــة، كمــا أبان لنا أنّ أعداءنــا لا يألون جهداً في إنزال الضرّ بنــا وبديننا، كما قصّ علينا في كتابــه العزيــز طرَفاً مِن تاريخهــم الأسود، كمــا أوضح لنا العواقــب السيّئة المترتّبــة على طاعة الأعــداء، وذلــك في غير آية مِن كتابه الكريم، وربّنا هو الأعلم بحقيقة أعدائنا، وبما يصلح عباده

وما يفسدهم.

ولذا كان القرآن واضحاً كلّ الوضوح في تأكيد استقلاليّة المنهج الإسلامي؛ وذلك من خلال تحذير المؤمنين من الثقة بالكافرين والمنافقين والانقياد إليهم، وتالله! إنَّ العجب لَيتملَّك المرء من هذا البيان القرآني البديع الذي بيَّن كمون الشرِّ في نفوس الكائدين، كما يتملكّنا العجب مرّة أخرى من غفلة المسلمين عن هذا الهدي القرآني العظيم في معالجة هذه المسألة.

ولا يخفى على أحد أنّ كيد الكفار للمسلمين في هذه الأزمنة قد تزايد، وأنّ الولاء والبراء قد ضعُف في كثير من النفوس، حتى اتبع كثير من ساسة اليوم أهواء اليهود والنصارى، فلمْ يسلم لهم دينهم، ولمْ تصلح لهم دنياهم، وفي هذا الإطار، وسعياً لتحصين الأمّة الإسلاميّة من التبعيّة للغرب، جاء هذا البحث الموسوم ب: «الأصناف الذين ورد النهي الصريح عن طاعتهم في القرآن الكريم دراسة موضوعيّة«؛ ليتناول المنهج القرآنيّ في التحذير من طاعة الأعداء، ثُمّ استنباط أبرز الجوانب التربويّة منه، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم فحسب.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهميّة الدراسة من الأمور الآتية:

١- كونُها دراسة قرآنيّة، جاءت خدمةً لأشرف كتاب على وجه الأرض، ألَا وهو القرآن الكريم، بحيث تستقرئ النصوص المتعلّقة بالموضوع مع ربطها بالواقع المعاش.

٢- كونها دراسة تتعلّق بما تشهده الساحة الإسلاميّة في العصر الحالي من محاولة فرض القيم الغربيّة على العالَم العربيّ والإسلاميّ، ممّا يمثّل تهديداً كبيراً على الهويّة الثقافيّة، تبعًا لذلك فإنّ هذه الدراسة جاءت محاولة لبيان خطر الهيمنة الغربيّة على الأمّة الإسلاميّة من منظور شرعيّ، ومن ثَمّ فقد أسهمت هذه الدراسة بإضافة ما هو جديد وهامّ إلى ساحة الدراسات القرآنيّة المعاصرة.

سبب اختيار الموضوع:

ثمّة أسباب عديدة دعت إلى اختيار هذا الموضوع، أُجملها في النقاط الآتية:

١- رغبة الباحث في الكتابة في حقل الدراسات القرآنيّة، واتباع أمْر الله ﷻ في تدبُّر آيات القرآن الكريم.

٢- عدم وجود دراسة علميّة متخصّصة -بحسب اطلاعي- تطرّقتْ إلى هذا الموضوع، مع وجود كثير من الفوائد التربويّة في هذه الدراسة.

٣- التصدّي للأقلام التي أغفلت مبدأ الولاء والبراء؛ وذلك من خلال ترويجها للدعوة إلى الإبراهيمية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

بيــان براعة المنهــج القرآني في التحذير مِن طاعة الأعــداء؛ وذلك مِن خ ل صيغة النهي (لا تفعل).

دراسة الفئات التي حذَّر الله ﷻ مِن طاعتها في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

هذا وتتمحور مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هي الفئات التي نصّ القرآن الكريم صراحةً على النهي عن طاعتهم؟

ويتفرع عن هذا السؤال ثلاثة أسئلة أساسيّة، يمكن صياغتها على النحو الآتي:

ما المقصود بالنهي عن الطاعة؟

ما هي المصطلحات ذات الصلة للنهي عن الطاعة في القرآن الكريم؟

٣- ما هي القيم المستنبَطة مِن تحذير الله ﷻ مِن طاعة أصناف الكفار؟

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

بعد البحث الحثيث في الدراسات السابقة، وجدت أنّ مِن الدراسات السابقة المتعلِّقة بمحلّ البحث، بحث محكَّم موسوم ب(آيات الطاعة في القرآن الكريم دراسة موضوعيّة)، للباحث علاء الشجيري.

حيــث تعرّضَت الدراسة السابقة لتعريــف النهي عن الطاعة، والمصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم، وعدّدت نماذج مِن الطاعة، واختتمتِ الدراسة بذكر ثمار الطاعة.

وبعــد البحث فــي الدراسات السابقة لــمْ أعثر علــى أيِّ دراسة قرآنيّة منشــورة درست هذا الموضــوع بشكل مستقلٍّ سوى هذه الدراســة -فيما اطلعتُ عليه-، رغم تناولها موضوع الحث على الطاعة، في حين اتجهتُ في هذه الدراسة -محلّ البحث- إلى مناقشة موضوع مغاير لها، ألَا وهو النهي عن الطاعة.

وعلــى الرغم مِــن التقاء الدراســة المشــار إليها بهــذه الدراسة -محلّ البحــث- في بعض مباحثها، لا سيّما في المطلب الأول، إلا أنها تُعدّ دراسة قيّمة في بابها.

ما يضيفه البحث:

نرى أنّ لهذه الدراسة فروقات عن غيرها، يكمن في الآتي:

١- كون هذه الدراسة دراسة قرآنيّة موضوعيّة، اتَّبعتُ فيها منهجَ البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

٢- اقتصار هذا البحث على دراسة الأصناف الذين نهى القرآن الكريم صراحةً عن طاعتهم بصيغة (لا تفعل) فحسب.

حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث على دراسة الآيات التي تضمّنت الأصناف الذين نهى القرآن الكريم صراحةً عن طاعتهم بصيغة (لا تفعل) فحسب دون غيرها مِن أنواع صيغ النهي.

منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلّب استخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي؛ وذلك بتتبّع الأصناف الذين نهى القرآن الكريم صراحةً عن طاعتهم، ثُمّ تفسير الآيات التي تضمّنت تلك الأصناف تفسيراً إجماليّاً في الغالب، ثُمّ استكشاف أبرز القيم المستنبَطة منها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم إلى مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدّمة: وتضمّنت أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجيّة البحث، وإجراءاته، وخطّته.

المطلب الأول: تعريف النهي عن الطاعة والمصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم، وجاء على النحو الآتي:

الفرع الأول: تعريف النهي عن الطاعة.

الفرع الثاني: المصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأصناف الذين ورد النهي الجازم عن طاعتهم في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القيم المستنبطة من نهي الله ﷻ عن طاعة أصناف الكفار.

الخاتمة: واشتملت على أهمّ النتائج والتوصيات التي توصّل إليها البحث.

إجراءات البحث:

سلكتُ في سبيل ذلك الخطوات الآتية:

١- استقراء جميع الآيات التي تناولت الأصناف الذين نهى القرآن الكريم صراحةً عن طاعتهم.

٢- الرجوع إلى أمّهات كتب التفسير، وتفسير الآيات -موضوع الدراسة- فيها تفسيراً إجمالياً، واختيار ما يتناسب منها مع الموضوع.

٣- ضبط الآيات الكريمة برواية حفص عن عاصم، سواء أكانت في متن البحث أم في حواشيه.

٤- عزو الآيات الكريمة إلى مواطنها مِن القرآن الكريم؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية عَقِب ورودها مباشرة في متن الصفحة.

٥- إثبات المراجع في الحاشية بشكل تفصيليّ عند إيرادها لأوّل مرّة فقط.

٦- اتّباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات، وعزو الأقوال إلى قائليها.

٨- إثبات النتائج والتوصيات التي خلُصت إليها الدراسة.

المطلب الأول:

تعريف النهي عن الطاعة والمصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم

يجدر بنا في هذا المقام قبل أن نستعرض محاور هذا الموضوع، ونشرع بتعداد أصناف الأعداء الذين نهى القرآن الكريم صراحةً عن طاعتهم، أن يمهِّد له بهذه التوطئة اليسيرة، ألَا وهي بيان المقصود بالنهي عن الطاعة؛ مِن خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثُمّ نعرّج على ذِكر مرادفاتها في التنزيل العزيز، فأقول -والله المستعان-:

الفرع الأول: تعريف النهي عن الطاعة

أولاً: تعريف النهي عن الطاعة لغة:

صيغة النهي هي: اقتضاء كفّ عن فعل تقوم به أو يمكن أن تقوم به، وصيغتها (لا تفعل)، وهذه الصيغة هي حقيقة في التحريم، حتى يرِد ما يصرفه، بمعنى: أنها تفيد تحريم الفعل المنهيّ عنه. والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧][(١)].

والطاعة لغةً: لفظة مشتقّة مِن الفعل الماضي طوَع، حيث جاء تعريفها في (مقاييس اللغة): «الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد، يدلّ على الإصحاب والانقياد، يقال: طاعه يطوعه: إذا انقاد معه، ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى: طاع له، ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه»[(٢)].

يتبيّن ممّا سبق أنّ أصل صيغة النهي (لا تفعل) تدلّ على التحريم، وأنّ المعنى اللغوي للنهي عن الطاعة يدلّ على الامتناع عن الانقياد ومخالفةِ الغير.

---

(١) انظر، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ): البحر المحيط في أصول الفقه، تح: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، (٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦). الكَفَوي، أبو البَقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: ١٠٩٤هـ): الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٩ه / ١٩٩٨م)، (٩٧٦).

(٢) ابن فارس، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٣٩٥): معجم مقاييس اللغة، تح: محمود خاطر، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د. ط، ١٤١٥ه / ١٩٩٥م)، مادة (طوع)، (٣/ ٤٣١). انظر، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٥٣٧٠): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١ - ٢٠٠١م)، مادة (طوع)، (٣/ ٦٦). الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، مادة (طوع)، (٣/ ١٢٥٥).

ثانياً: تعريف النهي عن الطاعة اصطلاحاً:

الطاعـة اصطلاحاً عرَّفها ابن حجر بقولـه: «الطاعة هي: الإتيان بالمأمور به، والانتهاء عن المنهـيّ عنه، والعصيـان بخلافه»[1]، ولخَّص ذلك كلّه ابن عاشور بقولـه: «الطاعة: امتثال الأمر والنهي»[2].

مِن هنا يتبيّن أنّه لا خلاف بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة الطاعة؛ إذ تدور مادّتهما حول معاني الانقياد، والامتثال، واتباع الأمر، واجتناب النهي[3].

وعليه فالنهي عن الطاعة في الإسلام يعني حرمة طاعة البشر إذا أمروا بمخالفة شرع الله.

ثالثاً: المقصود بالمنهج القرآني في التنفير مِن طاعة العدوّ

تجـدر الإشـارة إلى أنّ مادة (طوَع) وردت في القـرآن الكريم (١٣٠) مرّة، يخصّ موضوع البحث منها (أحد عشر) موضعًا[4].

والمقصـود بالتنفير مِـن طاعة الأعداء في هـذا البحث، هو: دراسة الآيـات القرآنيّة التي وردت في سياق النهي الصريح عن طاعة الأعداء.

الفرع الثاني: المصطلحات ذات الصلة في ضوء القرآن الكريم

بعـد دراسة الباحث أقوال المفسِّرين، تبيّـن أنّ النهي عن الطاعة في القرآن الكريم، وردت لها في كتاب الله الكريم مرادفات عديدة، ومِن ذلك:

أولاً: النهـي عـن عبادة الشيطان: وذلك في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَـدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّـيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، والمعنـى: أن لا تعبدوا الشيطان، فتطيعوه في معصية الله[5].

ثانياً: مخالفة الأمر: كما أخبر الله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَـلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢): فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: محبّ الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط.١، ١٣٨٠ه -١٣٩٠هـ، (١١٢/١٣). وانظر، الكَفَوي: الكليات، (٥٨٢).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، (٤٠٤/٢٩).

(٣) انظر، الشجيري، علاء حسين خلف: آيات الطاعة في القرآن الكريم دراسة موضوعيّة، (مجلة واسط للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، مج (١٩)، ع (١)، ٢٠٠٣م، (٧).

(٤) انظر، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، (دار الحديث، القاهرة)، د. ط، ١٣٦٤ه/ ٢٠٠٧م، مادة (طوع)، (٤٢٩ - ٤٣٠).

(٥) انظر، الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمّد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرّمة، د. ط، د. ت، (٥٤٢/٢٠).

قال القرطبي: «وبهذه الآية احتجّ الفقهاء على أنّ الأمر للوجوب، ووجهُها أنّ الله -تبارك وتعالى- قد حذَّر من مخالفة أمره، وتوعَّد بالعقاب عليها بقوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾، فتحرم مخالفته، ويجب امتثال أمره»[1].

ثالثاً: النهي عن اتباع الهوى: كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأصلح وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: «لا تطع مَنْ عصى الله، ولا توافقه على أمره»[2].

رابعاً: النهي عن اتباع خطوات الشيطان: كقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] والمعنى: «لا تطيعوه»[3].

خامساً: التحذير من الركون للظالمين: قال الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، ومعنى الآية: لا توادّوهم، ولا تطيعوهم، ولا تميلوا إليهم، ولا ترضَوا أعمالهم، وكلّه متقارب[4].

سادساً: الإدبار والتولي: ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧]، قال الطبري: «تدعو لظى إلى نفسها مَن أدبر في الدنيا عن طاعة الله، وتولَّى عن الإيمان بكتابه ورسله»[5].

سابعاً: العصيان: كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، أي: «لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به،... وينتهون إلى ما يأمرهم به ربّهم»[6].

وبهذه التوطئة، أرجو أن أكون قد مهّدتُ الطريق لاستعراض نظائر النهي عن الطاعة في آيات التنزيل الحكيم، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، (١٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣).

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: ٤٦٨هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ)، (٤١١).

(٣) الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ)، (٣٥٤/٥).

(٤) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ١٠٨).

(٥) الطبري: جامع البيان، (٦٠٩/٢٣).

(٦) الطبري: جامع البيان، (٢٣ /٤٩٢).

المطلب الثاني:

الأصناف الذين ورد النهي الجازم عن طاعتهم في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم آيات عديدة، حدّدت فئاماً من الأعداء تتعيّن حرمة طاعتهم بشكل حاسم، وفي هذا المطلب سنتناول مجموع الآيات التي جاءت تصرّح بالتحذير الصريح من طاعة أصناف الكافرين، ونكتفي خلاله بإيراد بيان إجمالي للآية الكريمة، بما يتجلّى به المراد، ويستبين به المقصود، دون الالتفات إلى خلافات المفسِّرين الواسعة، فليس موضع بسطها من ضروريّات هذا البحث؛ إذ الهدف منه هو التركيز على اسخلاص الأسباب التي أوصلت أصحابها إلى التحذير القرآني من الاقتداء بهم، وبعد هذه التوطئة اليسيرة نأتي إلى إيراد مجموع تلك الأصناف، ذاكراً إيّاها حسب ترتيب المصحف، ومن أبرزهم:

الصنف الأول: الغافلون عن ذكر الله: وجَّه الله ﷻ نبيّه محمداً ﷺ بالاجتماع مع أصحابه على الطاعة، والحذر من اتباع الهوى، ونهاه عن طاعة الغافلين والقبول منهم؛ لأنّ طاعتهم تدعو إلى الاقتداء بهم، ولأنّهم لا يدعون إلا لما هم متصفون به، رغم كلّ المبررات التي تدعو إلى إقامة العلاقات معهم، فقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ومعنى قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: «شغل عن الدين وعبادة ربّه بالدنيا، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي: أعماله وأفعاله سفَه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعاً له، ولا محبّاً لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه«[1]، وهكذا فإنّ مصاحبة أهل الغفلة ضياع وبعد عن الحق.

وممّا يدلّ على أهميّة حضور القلب قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، فإيثار التعبير القرآني لقول: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ على قول: (مَن أغفلْنا لسانه)؛ إشارة إلى أنّ حضور القلب عند العبادة من أعظم أسباب الثبات على الدين، وأنّ الغفلة من أخطر الأمراض التي قد تصيب العبد، وعليه فالغفلة الحقيقيّة غفلة القلب.

قال ابن القيّم في مَعرض تعداده فوائد الذكر: على قدر غفلة العبد عن الذّكر يكون بُعْده عن اللّه، والغافل بينه وبين اللّه ﷻ وحشة لا تزول إلّا بالذّكر[2]، ويضيف السعدي: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، «غَفَل عن الله، فعاقبَه بأن أغفَله عن ذكره»[3]، والجزاء من جنس العمل.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (١٥٣/٥).

(٢) انظر، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ): الوابل الصيب من الكلم الطيب، تح: سيد إبراهيم، (دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م)، (٤٣).

(٣) السِّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، (٤٧٥).

ولذلك حذَّر الله ﷻ من داء الغفلة المهلك في غير ما موضع من كتابه الكريم، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، قال الطبري في تأويل هذه الآية: «ولا تكن من اللاهين -إذا قرئ القرآن- عن عظاته وعبره، وما فيه من عجائبه، ولكنْ تدبَّر ذلك وتفهَّمه، وأشعره قلبك بذكر الله، وخضوع له، وخوف من قدرة الله عليك، إن أنتَ غفلْت عن ذلك»[١].

ويتضمّن قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ التحذير الشديد من التأثر بأهل الغفلة، والانقياد وراء الغافلين، حتى إنّ شخصاً واحداً غافلاً كفيل بصرف الإنسان عن طريق الحقّ، قال ابن تيمية: «فالغفلة والشهوة أصل الشرّ»[٢].

وفي مجيء قوله ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ بصيغة الجمع، إيماء بأنّ ملازمة الصحبة الصالحة ممّا تعين على طاعة الله، وفي هذه الآية أيضًا وجوب الحذر من مجالسة أصحاب الهوى، ومخالطة أهل البدع؛ حيث إنها طريقة من طرق القضاء على هذه الصفة الذميمة، فالأفكار تنتشر عن طريق التواصل مع الآخَرين، تأمّل كيف أنّ الله ﷻ عبَّر عنهم بالموصول، فقال: ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ وذلك للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم، أي: لأنهم أحرياء بذلك؛ لأجل إقبالهم على الله ﷻ، فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة، ثُمّ قال بعدها: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ وفي ذلك تأكيد الأمر بمواصلة صحبة الصالحين بالنهي عن أقلّ إعراض عنهم[٣].

ونظير ما طلبه سادة الكفار من نبيّنا محمّد ﷺ من طرْده فقراء المؤمنين وضعفاءهم؛ تكبُّراً عليهم، طلَبه أيضاً سلَفهم من قوم نوح من نبيّهم ﷺ، كما أخبر ﷻ عنهم: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وجاء الردّ القرآنيّ على هؤلاء الأغنياء المتغطرسين والأقوياء الجاهلين حاسمًا، وهو أنّ إيمان المرء لا يقاس بالمكانة الاجتماعيّة، لذا جاء النهي الربّاني الحاسم لنبيّنا محمّد ﷺ من الاستجابة لمطلبهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

الصنف الثاني: الكافرون: نهى الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن طاعة الكفار على سبيل التعبُّد، وذلك في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهي على النحو الآتي[٤]:

الموضع الأول: قوله ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

---

(١) انظر، الطبري: جامع البيان، (١٣/٣٥٥).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، د. ط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، (١٤/٢٨٩).

(٣) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (١٥/٣٠٥).

(٤) سبق وأن تناولنا بعض هذه الآيات في هذا المطلب، بما يغني عن إعادة تفسيرها هاهنا.

الموضع الثاني: قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

الموضع الثالث: قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

الموضع الرابع: قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وتبيّن من خلال التأمُّل في آيات القرآن الكريم المذكورة آنفًا، أنّ الله ﷻ ذكَر النهي الجازم عن طاعة طائفة ﴿الْكَافِرِينَ﴾ صراحة غير مقترنة مع أوصاف أخرى في موضع واحد من القرآن الكريم، بينما ورد ذكر هذه الطائفة مقترنة مع أوصاف أخرى وهي وصف النفاق والإثم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، على أنّ شتّى الأصناف الذين نصّ الله ﷻ على النهي الشديد لنبيّه محمّد ﷺ عن طاعتهم في القرآن الكريم يدخلون كلّهم تحت مسمّى الكفار، وإذا كان هذا هو شأن النبيّ محمّد ﷺ رغم علُوّ قدْره، واصطفائه بالرسالة، وعصمته من الكبائر، فكيف يكون حال العباد الخطّائين؟ لا شكّ أنه يتعيّن عليهم الحذر الدائم من الانسياق وراء الكفار.

كما حفل القرآن الكريم بالنهي عن طاعة الكفار في مواضع متعددة بأساليب أخرى غير أسلوب النهي الصريح، ومن ذلك بيان الثمار السيّئة المترتّبة على اتباعهم، ومن ذلك ما يأتي:

الآية الأولى: قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠].

الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

الآية الثالثة: قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فأنت ترى أنّ الآيتين المذكورتين آنفًا في سورة آل عمران، قد نهتا المؤمنين عن إطاعة سائر الكافرين، ثُمّ أتبعتا ذلك بنتيجتين سيّئتين تترتّبان على هذه الطاعة الآثمة، وهما: الرجوع إلى الرِّدة بعد الإيمان، والخسران في الدنيا والآخرة[١].

ويُلحظ من مجيء الوصف بالكفر هاهنا هو مزيد تنفير عن المنافقين، وتحذير شديد عن طاعتهم[٢]، ومقرَّر عند المؤمنين أنّ النفاق والإيمان ضدّان لا يجتمعان.

---

(١) انظر، طنطاوي، محمّد السيّد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م)، (٢٨٣/٢).

(٢) انظر، الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، (٣٠٠/٢).

وممّـا يحسن ذكره في هذا المقام هو ما اشتملت عليه ألفاظ الآيات من لمسات بيانيّة، ففي الآيـة الأولـى ورد التعبير القرآني بوصف ﴿فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران:١٠٠]، لكنْ جاء الوصف في الآية الثانية بوصف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ وذلك لأنّ الذين أوتوا الكتاب بعضهم فيه خير؛ فمنهم مَن آمَن، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسُـوا سَـوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْـجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، أمّا الكفار فكلّهم على ضلال، يتمنّون أن ننقلب على أعقابنا خاسرين، وهذا من بلاغة البيان القرآنيّ البديع[١].

ويجـدر التنبّـه إلى أنّ التعبير القرآني قد أشار في الموضعيـن السابقين إلى بُعد احتمال أن يطيع المؤمنون الكافرين؛ وذلك بالتعبير بأداة الشرط (إنْ) دون (إذا)؛ إذ إنّ (إذا) تستعمل لتحقُّـق الشـرط، وتحقُّق الجزاء، أمّا (إنْ) فإنها لا تفيد تحقُّق الشرط، بل تفيد الشكّ، ومن ثمَّ لا يتحقّق الجزاء، وهذا هو المناسب لحال المؤمنين؛ لأنّ إيمانهم يحجزهم عن طاعة الكافرين[٢].

الصنـف الثالث: المسرفون: حكـى القرآن الكريم نهي صالح عليـه السلام لقومه من ثمود طاعـة كبراءهـم المفسدين في الأرض، الدعاة لهـم إلى الشرك ومخالفة الحـقّ، بعد أن أمَرهم بتقوى الله، وذلك في موضع واحد من كتاب الله، وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشعراء: ١٥١ - ١٥٢].

قال الألوسي في تفسير الآية: قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ كأنّه عنى بالخطاب جمهور قومـه، وبـ ﴿ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: كبراءهم في الكفر والإضـلال، وكانوا تسعة رهط، والمـراد بالإسراف: الإسـراف المذمـوم كلّه في المال والكفر، وهو تجـاوز الحدّ، والمراد به هنا زيـادة الفساد، ولعلّ المقصـود ذمّهـم بالضلال في أنفسهـم بالكفر والمعاصـي، وإضلالهم غيرهـم بالدعوة لذلك، وللإيماء إلى عدم اختصاص شؤم فعلهم بهم؛ حثًّا على امتثال النهي، ولمّا كان قوله: ﴿يُفۡسِدُونَ﴾ لا ينافي إصلاحهم أحيانًا، أردَفه بقوله: ﴿وَلا يُصۡلِحُونَ﴾؛ لبيان كمال إفسادهم، وأنه لمْ يخالطه إصلاح أصلًا[٣].

وعندمـا نتأمّـل في الآيات المذكورة آنفًا، نجد أنّ الإسراف منوط بالفساد، فمَن أطاعهم أفسدوه لا محالة، ومَن كان مسرفاً فسدَت أموره[٤].

ويلحـظ مـن التعبيـر القرآنـيّ الإتيان بلفـظ ﴿أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ بدلاً من قولـه: (لا تطيعوا المسرفيـن)؛ وذلك للتركيـز في النهي على اتباع منهـج المسرفين كدعاة للفسـاد، وليس مجرّد

(١) انظر، العثيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ): تفسير العثيمين - سورة آل عمران، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٣٥هـ)، (٢٨٢/٢).

(٢) انظر، الآلوسي: روح المعاني، (١١٢/١٠). طنطاوي: التفسير الوسيط، (٢٩١/٢).

(٣) انظر، الآلوسي: روح المعاني، (١١٢/١٠).

(٤) انظر، المقبل، عمر بن عبد الله: وقفات مع سور وآيات، رابط:
https://quranpedia.net/category/)21/notes?page=572)، ت. مشاهدة ديسمبر ٢٠٢٥م.

مقاطعة ذواتهم، ويستفاد هذا المعنى من إضافة الطاعة إلى لفظة ﴿أَمَرَ﴾، فلو قال: (لا تطيعوا المسرفين أنفسهم)، ربّما يُظنّ: أنّ هذه الدعوة بسبب عداوة شخصيّة بينه وبينهم، وحد لا يُفهم النهي عن طاعتهم في أمور الخير أيضاً[1].

الصنف الرابع: الوالدان المشركان: ورد ذكر هذه الطائفة في سياق نهي الأبناء عن طاعة الأبوين المشركَين بشكل مباشر في موضعين من القرآن الكريم، وهما:

الموضع الأول: قوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

الموضع الثاني: قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

وتأويل الكلام: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: إنْ حرصا عليك كلّ الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من برّهما في الدنيا محسِنًا إليهما، مع لزوم اتباع سبيل المؤمنين[2].

ففي الموضعين الآنفين تأكيد على صلة الأبوين الكافرَين في الأمور الدنيويّة التي لا تتعلّق بالدِّين من إنفاقٍ للمال ولينٍ بالقول، وبيان أنّ الطاعة لله ﷻ مقدَّمة على طاعة كلّ أحد؛ إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، وتنبيه على أنّ طاعتهما في المعصية لا يدخل في دائرة الإحسان إليهما بالمعروف.

فإذا حذَّر الله ﷻ الإنسان صراحة عن إطاعة والديه إذا أمراه بمعصية، على الرغم من عِظم حقّ الوالدين في الإسلام، فكيف يأمره حينئذ بإطاعة أولي الأمر من الظلمة فيما يخالف شرعه، بل طاعتهما في ذلك مذمومة بشدّة؛ إذ إنّ الطاعة في المعروف، ولا طاعة مطلَقة إلا لله ﷻ ورسوله ﷺ.

الصنف الخامس: المنافقون: ورد ذكر هذه الطائفة في سياق التنفير من طاعتهم في موضعين من كتاب الله مقترنَين بوصف الكافر، وهما:

الموضع الأول: قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

وتفسير الآية: يأمر الله ﷻ النبيّ محمّدًا ﷺ وأمّته من بعده لتجنُّب مداهنة أهل الكفر والنفاق، والانصياع لهم في أمور دِينهم، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ الذين يقولون لك:

---

(١) انظر، العثيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ): تفسير العثيمين - سورة الشعراء، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ)، (٢٤٤).

(٢) انظر، الطبري: جامع البيان، (١٣٩/٢٠). ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٣٢٥/٥)، (١١٠/٦).

اطـرد عنـك أتباعك من ضعفـاء المؤمنين بك حتـى نجالسك، وكذلك لا تطـع المنافقين الذين يظهرون لك الإيمان باللّه والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودِينك خَبالًا، فلا تقبل منهم رأيًا، ولا تستشرهم مستنصحًا بهم؛ فإنهم لك أعداء[1].

الموضع الثاني: قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

وتفسير الآية: أي: لا تطِعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم، ولا تطِع المنافقين في حثِّهم لك على إجابتهم بذريعة المصلحة[2].

والمتدبّر في سورة الأحزاب نفسها، يلحظ تأكيد النهي الإلهيّ للنبيّ المعصوم محمّد ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين مرّتين؛ وذلك لأنّ أعظم فتنة لحكّام المسلمين طاعة الأعداء على حسـاب مصلحة شعوبهم وثوابت دينهم، ففي ذلـك إشارة إلى أنّ انصياع المستضعفين لمَا يمليه عليهم فراعنة العصر أمر بالغ الخطورة.

الصنـف السادس: المكذِّبون: نهى اللّه ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن إطاعة المكذِّبين بالقرآن الكريـم؛ وذلك بالاستجابـة إلى شيء من المساومـات التي عرضها مشركوا مكّـة عليه، وهو أمْر للمؤمنيـن من بعده، وذلـك في موضع واحد من كتاب اللّه، وهـو قوله ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٨ - ٩].

والمعنـى: ينهى اللّه ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن الاستجابة لداعي الباطل والضلال فيما يدعو إليـه من دين المكذِّبين برسالة اللّه؛ لأنهم يـودّون أن يلين الرسول محمّد ﷺ معهم فيَلينون؛ بأن يوافقونهم على باطلهم، فيوافقونهم على حقّهم[3].

الصنـف السابـع: الحـلّاف المَهيـن: نهـى اللّه ﷻ نبيّه محمّدًـا ﷺ عن أن يُطيـع أفراداً شرّيريـن لا خيـر فيهم، بعدما نهاه عـن إطاعة الكافرين عامة، فذكَر مـن صفاتهم المنفّرة أنهم يكثـرون الحلف الكاذب؛ وذلك لضعـف شخصيّاتهم، ولخسّة نفوسهم، وذلك في موضع واحد من كتاب اللّه، وهو قولـه ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٠ - ١٣].

وإنّ المتأمِّل في آيات سورة القلم يَلحظ أنّ التعبير القرآني أعاد فعل النهي عن الطاعة فيها لمـن هذه صفاتهم؛ للاهتمـام بهذا الأدب، فلم يُكتَـف بدخول أصحاب هـذه الأوصاف في عموم المكذِّبيـن الذين نهى عن طاعتهم في قولـه ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]، ولا بتخصيصهم بالذِّكـر بمجرّد عطـف الخاصّ على العامّ بأن يقال: (ولا كلَّ حلّاف)، بل جيء في جانبهم بصيغة

(١) انظر، الطبري: جامع البيان، (٢٠٢/٢٠). ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (١٤٥/٦).

(٢) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر، الطبري: جامع البيان، (٥٣٢/٢٣). الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١١٢١).

نهي أخرى مماثلة للأُولى، وليفيد أيضًا تسليط الوعيد الخاصّ -وهو في مضمون قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦]-، على أصحاب هذه الصفات التسع الخاصّة؛ زيادة على وعيد المكذّبين، ففي ذلك تلميح لقصّة المشار إليهم بالذمّ من زعماء الكفر[١].

ويلحظ من التعبير القرآني بكلمة ﴿كُلَّ﴾ الموضوعة لإفادة الشمول والإحاطة لأفراد الاسم الذي تضاف هي إليه، وعليه تفيد النهي العامّ عن طاعة كلّ فرد من أفراد أصحاب هذه الصفات التي أضيف إليها ﴿كُلَّ﴾ بالمباشرة وبالنعوت[٢]، يوضح هذا المعنى صاحب (التحرير والتنوير): «وليس المقصود أنَّ النهي منصبٌّ على مَن اجتمعَت فيه كلّ هذه الصفات الذميمة، بحيث لو اجتمعَت فيه بعضها جازت طاعته؛ إذ لا يخطر ذلك بالبال، ولا يجري على أساليب الاستعمال، بل المراد النهي عن طاعة كلّ مَن اتصف بخَصلة من هذه الخصال، ومِن باب أولى عدم طاعة مَن اجتمع له عدَّةٌ منها، أو بالأحرى كلّها»[٣].

ويتملّكنا الإجلال عندما نتدبّر كيف فضح الله ﷻ هذا الحلّاف المَهين منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وكأنّ القرآن يتنزّل بيننا الآن، ويصف لنا حال طغاة العصر، وهم يتشدّقون بكذب صُراح أمام أتباعهم في منابر عدّة، ويحلفون بالله ﷻ على الكذب بأبلغ الأيمان في ثنايا كلامهم مرّات عديدة، لا يكادون يتفوّهون بكلمة واحدة إلا يُتبعونها بأيمان فاجرة، ولله دَرّ سيّد قطب وهو يعيش في ظلال هذه الآية، وينقل لنا هذه المعايشة فيقول: «والقرآن يصفه بتسع صفات كلّها ذميم، فهو حلّاف . كثير الحلف، ولا يكثر الحلف إلا إنسان غير صادق، يدرك أنّ الناس يكذّبونه ولا يثقون فيه، فيحلف ويكثر من الحلف؛ ليداري كذبه، ويستجلب ثقة الناس»[٤].

الصنف الثامن: الآثمون: نهى الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن طاعة مَن يدعوه إلى المعصية والفجور أو الكفر والجحود، وذلك في موضع واحد من كتاب الله وردا فيه مقترنَين، وهو قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وممّا يحسن ذكره في هذا المقام، هو ما اشتملت عليه ألفاظ الآية المذكورة آنفًا من لمسات بيانيّة، ومِن ذلك أنّ مقتضى الظاهر أن يقول: (ولا تطعهم)، أو (ولا تطع منهم أحدًا)، فعُدل عنه إلى قوله: ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ للإشارة بالوصفين إلى أنّ طاعتهم تفضي حتماً إلى اقتراف إثم أو كفر؛ لأنهم في ذلك يأمرونه وينهونه غالبًا، فهم لا يأمرون إلا بما يلائم صفاتهم الآثمة أو الكافرة[٥].

---

(١) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٢٩/ ٧٠).

(٢) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٢٩/ ٧٠).

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٢٩/ ٧٠- ٧١).

(٤) قطب، سيّد إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): في ظلال القرآن، (القاهرة، دار الشروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، (٣٦٦٢).

(٥) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٢٩/ ٤٠٤).

والملحـوظ أنّ وصف الآثم والكفور متلازمان، حيث إنّهم في الكفر سواء، فكان ذِكر أحد الوصفيـن مغنيًـا عن الآخَر، ولكـنْ جُمع بينهما؛ لتشويـه حال المتّصِف بهمـا، ونظيره قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَـا يُحِـبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقـرة: ٢٧٦]، فيكون في إيثار هذيـن الوصفين بالذِّكر إدماج لذمّهمـا، وتلميح لقصّة المشار إليهما بالذمّ مِن زعماء الكفر[١]، قال الرازي: «الكفور أخبث أنواع الآثم، فخصَّه بالذِّكر؛ تنبيهًا على غاية خبثه، ونهايةِ بعده عن الله»[٢].

ولقائـل أن يقول: لماذا قـال ﷻ: ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، ولمْ يقل: (آثمًا وكفورًا)؟ والجواب: أنـه لو قال: (ولا تطعهما)، لجـاز أن يطيع أحدهما، أو أنّ تقدير الآية: (لا تطِع منهم أحدًا -سواء كان آثمًا أو كفورًا-)[٣].

الصنـف التاسع: الطاغي الذي ينهى عن الصلاة: نهى الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن طاعة مَـن يدعوه إلى ترك الصلاة، وذلك فـي موضع واحد مِن كتاب الله، وهو قوله ﷻ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

فالمقصـود بهـذه الآية الكريمة: حضُّ النبيّ محمّـد ﷺ على المداومة علـى الصلاة في الكعبة، وعدم الـ بالاة بنهي الأشقياء عن ذلك؛ فإنهم أحقر مِن أن يفعلوا شيئًا[٤].

وبعـد دراسـة الآيات القرآنية في هذا المطلب، أحسـب أنّ القارئ طوَّف في جنبات أصناف الأعـداء الذين يتعيّن حرمة طاعتهم بشكل مباشـر، وتعرّف على مواضع التهديدات القاصمة عن طاعـة الكفار بأساليب أخرى غير أسلـوب النهي الصريح؛ وذلك بيان الثمار السيّئة المترتّبة على اتباعهم، ووقف على خطورة طاعة الكافرين ومن شاكلهم، واتضحت له إجابة السؤال الثاني: مَن هم أصناف الكافرين الذين ورد التحذير القرآني مِن الاقتداء بهم؟

فإذا كان ذلك كذلك، فإني أزعم أنّ القارئ قد تشوّقت نفسه؛ لمعرفة أهمّ القيم المستنبَطة مِن هذا الوعيد القرآنيّ العنيف في تلك المواضع، وهذا هو موضوع المطلب الأخير.

---

(١) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٤٠٤/٢٩).

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، (٧٥٩/٣٠).

(٣) انظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، (٦٧٥/٤). الرازي: مفاتيح الغيب، (٧٥٩/٣٠).

(٤) انظر، طنطاوي: التفسير الوسيط، (٤٥٩/١٥).

المطلب الثالث:

القيم المستنبطة من نهي الله ﷻ عن طاعة أصناف الكفار

بعد استقراء النصوص القرآنيّة التي تضمّنتْ الأصناف الذين نهى الله ﷻ عن طاعتهم في كتابه الكريم، فإنه يحسن بالباحث أن يستنبط أهمّ القيم التي يمكن أن تُستشفّ مِن خلال الآيات التي وردت في هذا المعنى، ومِن أبرز تلك القيم ما يأتي:

أولاً: المقصود بالنهي عن طاعة الكفار هو ما يكون على سبيل التعبُّد فحسب: فإنه ينصرف النهي عن إجابة اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين والملاحدة في النصوص القرآنيّة المذكورة آنفًا بذريعة المصلحة المتوهّمة، هو فيما يخالف الشرع، كالمداهنة في الدين، أو في الأمر بالمنكر، أو في النهي عن المعروف أو في التقصير في تبليغ دعوة الإسلام إلى العالَمين؛ وذلك لأن الكفار كانوا يعمدون إلى الطلب مِن النبيّ ﷺ أن يفعل ما يرغبون، ومِن ذلك طرد ضعفاء المؤمنين مِن المجالس، والإتيان بقرآن غير هذا أو تبديله بما يوافق أهواءهم، وأن يكفّ عمّا يكرهون وقوعه مِن تحقير آلهتهم المزعومة، والجهرِ بصلاته، ومِن ترْك الناس وما يعبدون، أو مِن عدم بيان ما هم عليه مِن باطل.

بالمقابل لا يدخل ضمن النهي الوارد في آيات الكتاب العزيز عن طاعة الكفار، إذا دعوا المسلمين إلى ما لا يتعلّق به معصية ولا كفر، فيجوز لهم حينئذ قبوله، ففي قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، دلالة على النهي عن طاعة الكفار مطلقًا، لكنْ أجمع المسلمون على أنه لا يندرج تحته مَن وثِقنا بنصحه منهم؛ كالجاسوس، والخرِّيت الذي يهدي إلى الطريق، كما حدث في الهجرة النبويّة، وصاحب الرأي ذي المصلحة الظاهرة، والزوجة الكافرة تشير بصواب، فإشارة هؤلاء -مع كفرهم- لو أشاروا بالصواب فالقول قولهم[1].

ثانياً: إنّ الإسلام والكفر لا يلتقيان: وتبيّن هذا المعنى مِن خلال التأمُّل في آيات الكتاب العزيز التي تضمّنتْ نهي الله ﷻ عن طاعة أصناف الكفار، حيث تبيّن تهديد القرآنيّة العنيف في التنفير عن طاعة الكافرين[2]، حتى أعاد ﷻ النهي عن طاعتهم مرَّتين في سورة الأحزاب، والأمر ذاته تكرّر في سورة القلم؛ وهذا دليل بيِّن على خطورة طاعة الكافرين مِن جهة، والمفاصلة التامّة بين الإسلام والكفر مِن جهة أخرى.

وهذه الآيات تأمر رسول الله -والأمّة مِن بعده- بأن لا يمالئوا الكافرين، فللإسلام كيانه المتميِّز، وتبيِّن بوضوح كذلك أنّ الدعوة الإسلامية لا تلتقي مع الدعوات الأخرى مطلقًا، حتى

(١) انظر، أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د. ط، ١٤٢٠ه، (٣/٣٧٦).

(٢) انظر، عبد الباقي: المعجم المفهرس، مادة (طوع)، (٤٢٩ - ٤٣٠).

لـو أدّت مداهنتها إلى نتائـج إيجابيّة قصيرة المدى، فكم مِن أفـراد وحكومات أطاعوا الكافرين شيئـاً فشيئاً، إلى أن بلغ بهم الأمر أن يتنازلوا عن ثوابت الدين، كما قال ﷻ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَـا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَـوَاءً﴾ [النساء:٨٩]، ومِن نمـاذج ذلك في العصر الحاضـر الدعوة إلى الإبراهيميّـة[١]، وعليـه فإنّ الركون إلـى الكفار ولو على سبيل الاستجابـة لضغوطات الواقع مؤقتًا خسران مبين، والظنّ أنّ تلك التنازلات مِن قبيل السياسة الحكيمة وهم كبير.

ثالثـاً: سـرّ التحذيـر الإلهي من طاعـة أعداء الله: تبيَّن مِـن خلال التأمُّل فـي آيات القرآن الكريـم السابقـة، أنّ السر في النهي عـن طاعة تلك الفئات، يرجع إلـى أنّ أصحابها ليسوا أهلاً لأن يطاعوا؛ لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهواءهم، ولا يرجون لنا إلا السوء، لذا فإنّ طاعة هؤلاء الكفار تضيّع الآخرة، وتضرّ بالدنيا، وتَجلب المهانة، وتسبِّب الخذلان، فالمطيع لهم مقدِم على ما يضرّه لا محالة.

ومـا فتئ الكفار فـي كلّ العصور مثابرين علـى أن يزلزلوا عقائد المسلميـن، فتارة ببعثات تبشيريّـة، أو عن طريق الحملات العسكريّـة، أو عن طريق التمويل الخارجي المشروط، وقد رأينا فـي واقعنا المعاصر كيف بلغ الأمـر ببعض الدول الغربية إلى المطالبة الحثيثة لحكومات الشعوب المستضعَفة بتغيير مناهج التعليم، واستبدال أحكام الأحوال الشخصيّة، وهلمّ جرّاً.

ويُفهم هذا السرّ مِن خلال تعليق النهي عن طاعة الكفار في آيات القرآن الكريم بالأوصاف الذميمـة دون تحديـد زعماء الكفر، ومِن تلـك الأوصاف الإثم والكفر والحَلِـف الكاذب والتكذيب بالقرآن الكريم والإسراف المذموم والغفلة والنفاق، وفي هذا إشارة إلى أنّ طاعتهم تفضي حتماً إلى اقتراف مِثل هذه الآثام.

والمقصـود مِـن إيراد آيات القرآن الكريـم السابقة، تيئيس المشركين مِـن استجابة النبيّ ﷺ لأيّ مطلـب مِن مطالبهم الفاسدة، وهي دعوة فـي الوقت نفسه للثبات على الحقّ في مواجهة إغراءات الباطل وعربدته.

رابعـاً: تنـوُّع الأساليـب القرآنية في تأكيد النهي عـن طاعة الكفار: تنوّعـت أساليب القرآن الكريـم في تأكيـد التحذير مِن طاعة الكفار علـى صورتين؛ الأولى: النهـي الصريح الحاسم عن طاعـة الكافريـن، وهو محلّ الدراسـة، والثانية: النهي غير المباشر عن طاعـة الكفار، ومِن ذلك الحثّ على طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ بصيغة الأمر، كما في قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّـوْا فَـإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمـران: ٣٢]، إضافة إلى بيان عاقبـة المطيعين في الدنيا والآخـرة، كما فـي قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُـولِ إِلَّا الْبَلَـاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:

(١) انظر، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: نموذجان معاصران من التعايش الممنوع، (مقال)، مجلّة (البيان)، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٩ / ١٢ / ٢٠٢١م، ع (٤٢١)، شهر رمضان لعام ٢٠٢٢م/ ١٤٤٢هـ، رابط المقال: https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx(?).

٥٤]، فضلاً عن تعداد الثمار السيّئة المترتّبة على اتباع الكافرين، كما في قوله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وكلّ ذلك لبيان خطره، والتنفيرِ منه بشتّى الصور التي تعين المرء على إدراك مدى بشاعته، ومِثل هذا كثير في القرآن الكريم.

وفي ختام هذا البحث، أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات معنى النهي عن الطاعة والمصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم، وتعرّف على الأصناف الذين ورد النهي الجازم عن طاعتهم في التنزيل العزيز، وتبيَّن له بعض القيم المستنبطة مِن نهي الله ﷻ عن طاعة أصناف الكفار في الدّنيا والآخرة، وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولمْ يتبقّ إلا إيضاح ما خرجت به الدراسة مِن نتائج وتوصيات تضمّنتها خاتمة البحث، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد الآتي.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنه بعد دراسة موضوع (الأصناف الذين ورد النهي الصريح عن طاعتهم في القرآن الكريم دراسة موضوعيّة)، وذلك مِن خلال استقراء لعدد كبير مِن الآيات القرآنيّة، يمكِن الخلوص إلى النتائج الآتية:

أولاً: مِن خلال تتبُّع الاستعمال القرآني لمصطلح النهي عن الطاعة، يظهر أنه جاء في المفهوم القرآني بمعناه اللغوي، وهو: تحريم انقياد المسلم لأيّ مخلوق فيما يعارض عقيدته.

ثانياً: المقصود مِن إيراد الوعيد القرآنيّ الشديد في النهي عن طاعة الكافرين، على الرغم مِن أنه ﷺ ما كان يطيع أحدًا مِن الكفار، وحاشاه، هو بيان أنّ المؤمنين مِن باب أولى محتاجون إلى مواصلة تنبيه المؤمنين إلى خطورة اتباع الكفار، وتذكيرهم أنّ الذي ينبغي أن يطاع طاعة مطلقة هو الله ﷻ، وأهميّة التضرع إلى الله الحافظ، وتيئيس الكافرين مِن نيل رغائبهم، وتأكيد استقلاليّة المنهج الإسلامي، والثباتَ على الحقّ.

ثالثاً: ورد في سورة (الأحزاب) تأكيد النهي الإلهيّ للنبيّ المعصوم ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين مرّتين؛ وفي ذلك إشارة إلى أنّ انصياع المستضعفين لمَا يمليه عليهم فراعنة العصر أمر بالغ الخطورة.

رابعاً: أعاد التعبير القرآني في سورة (القلم) فعل النهي عن الطاعة ﴿لَا تُطِعْ﴾؛ تأكيداً على خطورة الاستجابة لأهل الكفر، وتشديداً على بطلان منهجهم، ودلالةً على سوء حال كلّ مَن يتّصف بتلك الصفات التسع المزرية.

خامساً: نهى الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن طاعة الكفار باسمهم الصريح، وذلك بوصف الكافرين أو الكفور، كما نهى الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ عن طاعة أصناف محدَّدة من الكافرين بأوصاف غالبة عليهم، وهم الغافلون عن ذكر الله، والمسرفون، والمنافقون، والمكذِّبون، والحلّاف المَهين، والآثِمون، والطاغي الذي ينهى عن الصلاة، ولمْ يُخاطَب غيرُ النبيّ فيها إلا في موضعين، حيث كان المخاطَب فيهما الابن؛ تحذيراً له من إطاعة والديه المشركَين.

سادساً: تنوّعت أساليب القرآن الكريم في النهي عن طاعة الكفار، تارة بالنهي الصريح عن طاعتهم، وتارة أخرى بالنهي غير المباشر، وكلّ ذلك للتنفير من الركون إليهم.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنّ الباحث يوصي بما يأتي:

أولاً: إجراء المزيد من البحوث العلميّة في تتبُّع المفردات القرآنيّة.

ثانياً: القيام بدراسات موضوعيّة شبيهة لتتبّع موضوع النهي الصريح عن طاعة الكافرين في السنّة النبويّة، وكذلك النهي غير الصريح عن طاعتهم في ضوء القرآن الكريم.

وبعد؛ فهذا ما يسّر الله ﷻ للباحث الوصول إليه في هذه الدراسة، وأسأله تعالى أن يجعلنا من التالين المتدبِّرين لكتابه المجيد، وصلوات الله وسلامُه على أشرف خلْقه وتاج رسُله محمّد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م).

الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، د. ط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢): فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: محبّ الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط.١، ١٣٨٠ه - ١٣٩٠هـ.

أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي

محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د. ط، ١٤٢٠هـ.

الــرازي، أبــو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هــ): مفاتيح الغيب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ).

الزركشــي، بدر الدين محمد بــن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ): البحر المحيط في أصول الفقه، تح: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

الزمخشــري، أبو القاسم محمــود بن عمر (ت: ٥٣٨): الكشاف عــن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ).

السَّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كـ م المنّان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

الشجيــري، عــلاء حسين خلــف: آيات الطاعة في القــرآن الكريم دراســة موضوعيّة، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، مج (١٩)، ع (١)، ٢٠٠٣م.

شواهنــة، حمزة عبد الله سعادة: نموذجان معاصران مِن التعايش الممنوع، (مقال)، مجلة (البيــان)، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٩ / ١٢ / ٢٠٢١م، ع (٤٢١)، شهر رمضان لعام ٢٠٢٢م/ ١٤٤٢ه، رابط المقال: (https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?).

الطبــري، أبــو جعفر محمّد بن جرير: جامع البيان عن تأويــل آي القرآن، تح: محمود محمّد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرّمة، د. ط، د. ت.

طنطاوي، محمّد السيّد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م).

ابــن عاشور، محمد الطاهر بــن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

عبــد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هــ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، (دار الحديث، القاهرة)، د. ط، ١٣٦٤ه / ٢٠٠٧م.

العثيميــن، محمد بن صالــح (ت: ١٤٢١هـ): تفسير العثيمين - ســورة آل عمران، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٣٥هـ).

العثيميــن، محمد بن صالــح (ت: ١٤٢١هـ): تفسيــر العثيمين - سورة الشعــراء، (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ).

ابــن فارس، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٣٩٥): معجم مقاييس اللغة، تح: محمود خاطر، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

القرطبــي، أبــو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكــر (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن،

تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

قطب، سيّد إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): في ظلال القرآن، (القاهرة، دار الشروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ): الوابل الصيب من الكلم الطيب، تح: سيد إبراهيم، (دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م).

الكَفَوي، أبو البَقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: ١٠٩٤هـ): الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٩ه / ١٩٩٨م).

المقبل، عمر بن عبد الله: وقفات مع سور وآيات، رابط:
(https://quranpedia.net/category/)21/notes?page=572.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: ٤٦٨هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ).